

العرب واليهود^(٥)

للدكتور جواد علي

—*—*—*—

صلوات العرب بالبرانيين صلوات قديمة ، ترجع إلى عمور مضت قبل المسيح . وقد تعرضت التوراة والتلمود وكتب يهودية أخرى إلى أخبار العرب . ونحن نعول في أكثر ما نكتبه عن صلوات العرب بالبرانيين في العمور التي سبقت الإسلام على هذه الكتب .

وكانت صلوات العرب بأرض فلسطين قديمة كذلك ، ولعلها أقدم من علاقة البرانيين بهذه الأرض . وكلمة « فلسطين » نفسها لا ترجع إلى أصل عبراني على رأي بعض العلماء^(١) ، ولعلها كلمة عربية قديمة . وبهذه الصورة انتقلت إلى اليونانية واللاتينية ثم إلى سائر اللغات العالمية^(٢) . ولعلها استعملت في العبرانية المتأخرة عن الاستعمال العربي القديم .

وقد أطلقت هذه الكلمة في الأصل على المنطقة الساحلية الضيقة التي تقع في جنوب الكرمل والتي كان يسكنها شعب يطلق عليه اسم « فلسطينية philistia »^(٣) . ثم أطلقت من قبيل التعميم على جميع الأراضي المجاورة لهذه المنطقة . وقد وردت اللفظة في العهد القديم بأشكال مختلفة . جاء في سفر الخروج « يسمع الشعوب فيرتعدون تأخذ الرعدة سكان فلسطين »^(٤) . وجاء في سفر أشعيا « لا تفرحوا يا جميع فلسطين لأن القضيض الضارب بك انكسر فإنه من أصل الحية يخرج أفعوان وثمرته تكون ثعباناً ساماً طياراً »^(٥) .

وتاريخ فلسطين تاريخ غامض جداً ، ولا يمكن أن نجد أي أثر للشعب القديم الذي كان يسكن في هذه البلاد قبل ثلاثة آلاف

(٥) فصل من كتاب « العرب قبل الإسلام » للدكتور جواد علي وهو لم يطبع بعد .

(١) راجع J M N. Jeffries. Palestine the reality 1939 p,5

(٢) نفس المصدر .

(٣) Hastings. Dictionary of the Bible p, 672

(٤) سفر الخروج إصحاح ١٥ آية ١٥ ، ١٥ ، ١٤ .

(٥) سفر أشعيا إصحاح ١٤ آية ٢٩ وما بعد .

عام قبل المسيح . والظاهر أن الشعب الذي أقام في هذه البلاد بعد هذا التاريخ كان على شيء من الإنحطاط . فكانوا يسكنون الكهوف الطبيعية والكهوف الصناعية ، والظاهر أنه لم يكن من السلالة السامية ، وأنه كان من شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط . ولم يتمكن العلماء على كل حال من تشخيص ما تبقى من عظام هذا الشعب لقدمها وتلف أكثر ما تبقى منها ، ولعل الحوريين الذين ورد ذكرهم في سفر التكوين من بقايا هؤلاء^(١) . وأول سلالة سامية هبطت أرض فلسطين ، هي سلالة : « الكنعانيين » أو « العموريين » « Amorites » ، والظاهر أنها نزلت في هذه البلاد بعد سنة (٢٥٠٠ قبل الميلاد)^(٢) .

وقد حاول بعض العلماء التفريق بين الكنعانيين والعموريين إلا أنهم لم يتمكنوا من إبراد حجج علمية قطعية ، تؤيد هذا الرأي^(٣) . وسكن هؤلاء العموريون في منطقة واسعة هي منطقة الهلال الخصيب في أرض بابل حيث كون ملكهم « حورآبي » مملكته في العراق وسكنوا في مختلف مدن سوريا كذلك^(٤) .

ولما كانت أرض فلسطين على اتصال تام بمصر فقد بدأت تتأثر بالحضارة المصرية وبالسياسة المصرية . منذ سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد ، ثم أصبحت تابعة للامبراطورية المصرية بعد أن فتحها تحتمس الثالث « Tahutmes. 3 » (١٥٠٠ و . م) ثم أمنهوتب الثالث « Amenbotep. 3 » (١٤٥٠ و . م) فكان يحكمهم مشايخ باسم حكام مصر^(٥) .

ولم يتمكن الفرعون أمنهوتب الرابع « Ameubotep 4 » من الإهتمام بشؤون مصر ولا بشؤون سائر الأقطار الأخرى التي كانت تابعة للامبراطورية المصرية ، بسبب انشغاله بالإصلاح الديني ولاعتقاده بعقيدة التوحيد التي أراد جعلها العقيدة الرسمية للدولة ولمعارضة رجال الدين لهذا الإصلاح . فانهزت المستعمرات المصرية تلك الفرصة وأخذت تستقل^(٦)

(١) راجع سفر التكوين ١٤ آية ٦ كذلك Hastings p, 673

(٢) نفس المصدر .

(٣) Hastings p, 673

(٤) Hastings p 673. 27

(٥) Hastings p 673

(٦) Hastings p 673 عن النزاع الديني راجع برست

« العمور القديمة » .

والفرزيون والحرثيون واليبوسيون وأمثالهم في أماكنهم يقاومون اليهود^(١).

وبدخول اليهود إلى أرض فلسطين ولا سيما بعد استقرارهم فيها تكونت الصلات التاريخية فيها بين العرب واليهود . وقد كان العرب يسكنون في أرض فلسطين ذاتها وفي جوار شعوب فلسطين . فلما تمكن اليهود من بعض هذه الشعوب احتسكوا احتسكا كما مباشرًا بالعرب .

يرى المستشرق الإنكليزي مارجليوث أن صلات العرب باليهود مرت في أدوار ثلاثة :

أما الدور الأول فهو الدور الفاضل الذي تعرف فيه العرب باليهود بعد دخول اليهود إلى أرض كنعان ، ومعلوماتنا عن هذا الدور لا تكاد تكون شيئاً . وهي تستند على الدراسات المقارنة فقط ، على دراسة الخصائص اللغوية والكلمات المشتركة فيما بين اللغتين العبرية والعربية وعلى الأساطير والمعتقدات الدينية القديمة ، وتشير مثل هذه الدراسة ، إلى وجود احتسك قديم بين العرب واليهود^(٢).

وفي المرحلة الثانية اتصل اليهود بالعرب اتصالاً مباشراً . وقد ذكر ذلك الإتصال في التوراة في مواضع مختلفة منه ، وقد كانت صلات العرب باليهود صلات حسنة نوعاً ما في بادئ الأمر ، ثم سادت تلك الصلات على أثر ما ظهر للقبائل العربية من ميل المبرانيين إلى الإعتداء عليهم ، ومحاولة الإستيلاء على أرض فلسطين^(٣) . وأكثر معلوماتنا عن هذا الدور من التوراة ومن المصادر المبرانية ذاتها ونادراً ما تشير المصادر العربية إلى ذلك .

وفي المرحلة الثالثة والأخيرة ينتقل اليهود من فلسطين إلى الحجاز واليمن والعراق بعد احتلال الرومان لأرض فلسطين وبعد البعث بالهيكل ، فيتشتت شمل اليهود ، وتسقط آخر حكومة لليهود . وتكاد تكون المصادر العربية الإسلامية في طبيعة المصادر التاريخية بالنسبة لهذا العهد^(٤).

هبوار علي

البقية في العدد القادم

(١) راجع سفر يشوع اصحاح ٣ آية ١٠ وما بعد ومواضع أخرى

(٢) Margoliouth p, 1

(٣) نفس المصدر .

(٤) Margoliouth p, 1

استقلت فلسطين قبل عبي ، القبائل الآرامية إليها ، وقد وردت كلمة « Khabiri » في نص تل العمارنة إلا أن تلك الكلمة لا ترادف كلمة عبري « Hebreu » التي وردت في التوراة^(١) . وليست هنالك أدلة علمية تثبت ترادف الكلمتين^(٢) .

والذي يفهم من المصادر العبرية هو أن اليهود كانوا مستعدين في مصر ، ثم خرجوا من هذا الإستعباد في أوائل القرن الثالث عشر قبل المسيح إلى أرض كنعان « فلسطين » وكان زعيمهم جيمعاً « يشوع »^(٣) ، وذلك ما يفهم من سفر يشوع « وكان بعد موت موسى عبد الرب ، إن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً : موسى عبيدي قد مات . فالآن قم اعب هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيتها لهم أي لبني إسرائيل . كل موضع ندوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير مهران الفرات . جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم ، لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك »^(٤) .

والذي يظهر من مصادر قديمة أخرى هو أن اليهود عندما دخلوا أرض كنعان ، دخلوا على صورة قبائل متفرقة وبأوقات مختلفة ، فلم يكن عليهم زعيم واحد . ويؤيد مضمون نص تل العمارنة هذا الرأي غير أنه يحتاج إلى فحص وإلى تدقيق تاريخي عميق ، لمعرفة كيفية هجرة اليهود إلى أرض كنعان^(٥) .

لم يتمكن الامرائيليون من الاستيلاء على أرض فلسطين دفعة واحدة ، بل كان ذلك تدريجياً ، ظلت الأرض الساحلية السهلة في قبضة الفلسطينيين « Philistines » . وهنالك نظريات مختلفة عن أصل هذا الشعب . وتدعى أحدث نظرية من هذه النظريات بأن أصل الشعب الفلسطيني من جزيرة « كريت » على أنها نظرية لا زالت في حاجة إلى أدلة علمية .

وظل « الجيمونيون » « Yibconites » والكنعانيون

(١) Hastings p 673 . ونص تل العمارنة

(٢) نفس المصدر .

(٣) Hastings p 673

(٤) راجع سفر يشوع اصحاح ١ آية ١ وما بعد .

(٥) Hastings p 674